بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل أتاك يعني قد أتاك يا محمد حديث الغاشية يعني القيامة سميت
غاشية لأنها تغشى كل شيء بأهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار وجوه
يومئذ يعني يوم القيامة خاشعة يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولأن الوجه
أشرف أعضاء الإنسان فعبر به عنه عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا
على غير دين الإسلام ومن عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع
لا يقبل الله منهم اجتهادا في صلاته ثم يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدأب في العمل بالتعب
ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو
رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما الرواية الأولى فإنها تختص بمن أحدث في دين
الإسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه وأما الرواية الثانية فإنها تشمل
على كل عامل في دين الإسلام أو غير دين الإسلام فإنه مردود عليه إذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله
عليه وسلم وقيل في الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة ناصبة
في النار لأنها لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال وهي رواية عن
ابن عباس قال ابن عباس يخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار
وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تصلى نارا حامية قال ابن عباس قد حميت فهي
تتلظى على أعداء الله عز وجل تسقى من عين آنية أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت
لو وقع منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعوا إليها وردا عطاشا هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم
فقال تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض تسميه قريش الشبرق
فإذا هاج يسمونه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهي رواية عن ابن عباس فإذا يبس لا يقربه
دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء
في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة
وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء إن الله يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه
من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة
فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستغيثون فيعطشهم ألف سنة ثم
يسقون من عين آنية شربة لا هنية ولا مرية فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم
وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم
قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فإن
الإبل إنما ترعاه رطبا فإذا يبس لا تأكله فأنزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع يعني أن هذا الطعام
لا تقدر البهائم على أكله فهو إذا لا يسمن ولا يغني من جوع **فإن قلت**
قد ذكر الله تعالى في هذه الآية لا طعام لهم إلا من ضريع وذكر في موضع آخر لا طعام لهم إلا من غسلين
فكيف الجمع بينهما **قلت** إن النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه
الزقوم ولا غيره ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف أهل الجنة فقال وجوه يومئذ ناعمة أي متنعمة ذات
بهجة وحسن في نعمة وكرامة لسعيها راضية أي لعملها في الدنيا راضية في الآخرة حين أعطيت الجنة
بعملها في جنة عالية قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لأن الجنة درجات

بعضها

بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والأرض لا تسمع فيها لاغية أي ليس فيها لغو ولا باطل
فيها عين جارية من وجه الأرض في غير أخدود وقيل تجري حيث شاءت من منازلهم وقصورهم
فيها سرر مرفوعة قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم
يجئ أهلها فإذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع إلى موضعها وأكواب
يعني الكيزان التي لا عرى لها موضوعة يعني عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافة
العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة ونمارق مصفوفة يعني وسائد مرافق
مصفوفة بعضها بجنب بعض أينما أراد أن يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند إلى الأخرى
وزرابي يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية
مبثوثة أي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت
قال ابن عباس قال أهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من
ذلك أهل الكفر وكذبوا فذكرهم الله صنعه فقال أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإنما بدأ بالإبل
لأنها من أنفس أموال العرب لهم فيها منافع كثيرة والمعنى أن الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي
صنع لأهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الإبل بالذكر من بين سائر الحيوانات
فقال مقاتل لأن العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم
وقال الكلبي لأنها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة
وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له
الفيل أعظم في الأعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لأنه لا يركب
على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والإبل أعز مال للعرب وأنفسه تأكل النوى وغيره وتخرج
اللبن ومن منافع الإبل أنها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى إن
الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها أنها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء
وذلك أن جميع الحيوانات إنما تقتنى إما للزينة وإما للركوب وإما للحمل أو للبن أو للحم ولا يوجد
جميع هذه الخصال إلا في الإبل فإنها زينة وتركب فيقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح
اخرجوا بنا إلى الكناسة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويؤكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش مدة
أيام ومنها أنها تحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها أنها ترعى كل نبات
في البراري مما لا ترعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز
البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت
فإن قلت كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والأرض والجبال **قلت**
كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وأنه هو الخالق لهذه الأشياء جميعا وكانت
الإبل من أعظم شيء عند العرب ينظرون إليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا وأسفارا
ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولأنها من أعظم الحيوانات عندهم وإلى السماء كيف
رفعت يعني فوق الأرض بغير عمد ولا يناله شيء وإلى الجبال كيف نصبت على الأرض نصبا
أي ثابتة راسخة لا تزول وإلى الأرض كيف سطحت أي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها
كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب

Copyright © King Saud University